

السلطة الدينية والسلطة السياسية على عهد المرابطين
(جدلية الائتلاف والاختلاف)

430 هـ – 541 هـ

Religious and Political Authority During the Al-Moravid Dynasty
(The Dialectic of Alliance and Divergence)

430 AH - 541 AH

1 - عبد العزيز شاكى*، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة (الجزائر)

abdelaziz.chaki@univ-msila.dz

تاريخ الاستلام: 2025 /09/18 تاريخ القبول: 2025 /11/12 تاريخ النشر: 2025 /12/31

ملخص:

شكلت التجربة المرابطية أنموذجا فريدا في التعايش بين سلطتي الفقيه والسياسي وتتناول هذه الورقات البحثية بعض مظاهر هذا التعايش والتناظر، فقد أسهم بعض الفقهاء في تأسيس هذه الدولة أول الأمر وساهموا في إنجاح دعوتها وشكلوا من شباب الدعوة جيشاً بسطوا به سيطرتهم، كما شارك هؤلاء الفقهاء السلطة السياسية في صنع القرار والإفتاء والمدافعة عن الدولة وغير ذلك من الأدوار المتماهية مع الطرح السلطوي، غير أن فريقا من الفقهاء شكّل تيارا معارضا للسلطة فصودرت أفكاره وأحرقت مؤلفاته، ونجح البعض منهم في تأليب العامة على السلطة حتى أثمرت جهود أحدهم في إذكاء جدوة التمرد والثورة التي أطاحت فيما بعد بالدولة ذاتها.

كلمات مفتاحية: المرابطون، المغرب، الأندلس، الفقهاء، الثورة، ابن ياسين، ابن تومرت، الإمام الغزالي.

Abstract:

The Almoravid experience presented a distinctif coexistence model between the authority of the jurist (faqih) and the politician. This research paper inspects some facets of this coexistence and discord. Indeed, some jurists contributed to the early establishment of this state, participated in its Da'wa's success (religious and political call), and urged the youth to form an army, with which they extended their control. These jurists also shared political power in decision-making, issuing fatwas (legal opinions), defending the state, and other roles aligned with the ruling power's agenda. However, a group of jurists formed an opposition current to the authority. Consequently, their ideas were seized and their works were burned. Yet, a number of them managed to rally the common people against the ruling power, ultimately leading to the ignition of the embers of rebellion and revolution that subsequently brought down the state itself.

Keywords : The Almoravids, Maghreb, Al-Andalus (or Islamic Iberia/Muslim Spain), The Jurists (or Faqihs), The Revolution, Ibn Yasin, Ibn Tumart, Imam al-Ghazali

● مقدمة :

تعتبر التجربة المرابطة من التجارب الناجحة من جهة التناغم الحاصل بين السلطين الدينية والسياسية ، فقد ظلت سلطة الفقيه موازية لسلطة السياسي أو تفوقها أحياناً ، وسجلت مدونات خبرية رجوع رجل الدولة إلى رجل الدين غير مرة في قضايا عدة كان لزاما على الفقيه واجب الإدلاء فيها ، وفي الوقت الذي أسهم فقهاء في منشأ الدعوة المرابطية وراحوا يعكفون على تكوين رعيها الأول على شاكلة الفقيه عبد الله بن ياسين ، ظل فقهاء آخرون من بعدهم سنداً لسلطة الدولة منافحةً ودفاعاً وجهاداً وإفتاءً ، غير أن هناك من شدّ عن هذه القاعدة ، فقد تعارضت أفكار فقهاء آخرين مع التوجه العقدي للدولة وهو المذهب السني المالكي حتى صودرت أفكارهم وأحرقت تواليهم وكتب بذلك إلى جميع جهات الدولة ، بل ووصل الأمر بآخرين حد التشغيب والتناؤش لتقويض أركان الدولة ومن ذلك ثورات الفقهاء في العدو الاندلسية أو الثورة التي أطاحت نهاية الأمر بدولة المرابطين والتي أذكاهما فقيه السوس محمد بن تومرت وواصلها من بعده تبيعه عبد المؤمن بن علي . فإلى أي حد شكل

جُهد الفقهاء حجر الزاوية في منشأ هذه الدولة ؟ وما تجليات مشهد هذا الدور الفاعل في ترسيم معالم الدولة ؟ وما ضروب المناوئة التي مثلها فقهاء آخرون ؟ وهل نجح بعضها في تقويض ملك المرابطين أم ظلت حبيسة مشهد التعارض ؟

1. السلطة السياسية والفقهية ومظاهر الائتلاف والاختلاف

تكاد تُشكل التجربة المرابطية في الغرب الإسلامي الأنموذج الأوحَد أو على الأقل النادر نظيره في التعايش بل والتناغم الحاصل بين سلطتي الفقيه والسياسي ، ويُعزى الفضل في مُبتدأ هذه التجربة إلى جِلَّة من الفقهاء الذين اخذوا على عاتقهم مُهمة نشر الإسلام السني الصحيح في مناطق من بلاد المغرب كانت قد حادت عن شريعة الله بعد أن أنشئ الرباط الذي كَوَّن صفوة الشباب وراحوا يفتحون مجالات المغرب وأحوازها ، وبصرف النظر عن إسهامات الفقهاء في أمرالابتداء هذا ، فقد ظلت سلطة الفقيه موازية لسلطة السياسي حتى انقراض دولة المرابطين ، غير أن ذلك لا ينطبقُ على المشهد العام بالكُلِّية ، إذ شَدَّ عن هذه القاعدة فُقهاء نقضوا ما سبق من مشهد التعايش الحاصل ، فقد تعارضت بعض أفكار أولئك الفقهاء مع التوجُّه العقدي للدولة التي راحت تُصادر أفكارهم كما حصل مع أبي حامد الغزالي وحادثة إحراق كتاب الإحياء ، ولم يقف الأمر عند هذا الحد إذ وصل مشهد التعارض حدَّ المقاتلة وتجيش الأنصار والمشايعة لتقويض أركان الدولة كما حدث مع محمد بن تومرت الذي جاهر بمناوئته لتوجه الدولة وراح يرصد لها المعاييب والمثالب ، ثم ألَّب عليها شطراً من العامة وراح يستجيشهم حتى وطَّد الأمر لتلميذه من بعده عبد المؤمن بن علي الذي استرسل في معاداته حتى قوَّض أركان الدولة المرابطية واستخلفها بدولته التي كانت لها اليد الطولى على مجالات الغرب الإسلامي برمته . سنقتصر في ورقتنا البحثية هذه على ثلاثة نماذج من مشاهد التناغم والتعارض الحاصل بين سلطتي الفقيه والسياسي ، إذ نتحدث عن دور الفقيه ابن ياسين في منشأ هذه الدولة وتحويلها من حركة تغيير وإصلاح إلى دولة مترامية الأطراف ، ثم نتعرض بعدها لمشهد التعارض غير ال مُفضي إلى التناوش المسلح حينما كشف عن تعارض أفكار الفقيه أبي حامد الغزالي الذي صُوِّدَت أفكاره وأُحرقت تواليفه ، لنذيلَ ورقتنا البحثية هذه بالحديث عن الفقيه محمد بن تومرت الذي جاهر بعدائه للدولة وراح يُنفخ فيه حتى أذكي في نفوس مُشايعيه الخروج عن الدولة إلى حين هدم أركانها .

2. الفقيه والسلطة في التجربة المرابطية (منشأ الدولة ومكانة الفقيه)

تداول المصادر الخيرية دولة المرابطين بهذا الاسم الذي أطلقه الفقيه عبد الله ابن ياسين على أتباعه الذين لازموا رابطته¹ في الرباط الذي أُقيم عند نهر السنغال على الأرجح² وصارت المجموع الطلابية تتوافد عليه وتتسائل إليه³ ، واصطلاح المرابطين مُشتق اسمه من كلمة الرابطة ، ومعناه المسلمون المنقطعون للعبادة في الموضع المُسمى بالرباط ، لذلك جاء لفظ المرابط بمعنى الملازم للثغر مدافعةً عن الإسلام والمسلمين وهو ما يتوافق مع قول الله -جلّ في علاه- عن المُرابطة في سورتي آل عمران والأنفال⁴ . وهو ما جعل الطبري يقول أن الرباط⁵ هو ارتباط الخيل للعدو ، ثم أطلق هذا

¹ ابن أبي زرع الفاسي : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص 125 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : تاريخ ابن خلدون - المسعى ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - ، تحقيق : خليل شحادة وسهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، ج 6 ، ص 243 ؛ تقي الدين المقرئ : كتاب المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1991 ، ج 3 ، ص 114 .

² هناك من قال بأنه في الصحراء الغربية فيما يلي تارودانت غير أنه يُستبعد هذا الطرح .

³ مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكار وعبد القادر زمامة ، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدر البيضاء ، 1979 ، ص ص 20 - 21 ؛ ابن عذاري المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (القسم المختص بالمرابطين) ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 4 ، ص 10؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 125 .

⁴ أنظر : سورة آل عمران ، الآية 200 ؛ سورة الأنفال ، الآية 60 .

⁵ الرباط من الفعل ربط ، وَرَبَطَ الشيءَ يربطه رِبْطًا ، أم الجمع فهو : رِبْطٌ ، والرباط هو المواظبة على الأمر ، كما تعني ملازمة ثغر العدو ، وقيل أن معنى الرباط كذلك هو المواظبة والمحافظة على مواقيت الصلاة ، وقيل هاهنا أنه اسما لربط الشيء أي شدّه ومعنى ذلك أن هذه الصفات والخلال تربط صاحبها عن المعاصي وتكفّه ، وربط الله على قلب الرجل أي ألهمه الصبر وشدّه وزاده قوةً ، كما تعني الإقامة على مُجاهدة الأعداء . ابن منظور : لسان العرب ، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، دت ، مج 6 ، ص ص 1560 - 1561 .

الاصطلاح على كل المقيمين في الثغر دفاعاً عن المسلمين ومجاهدة لأعدائهم¹ ، أما النويرى فيضعُ المرباطة والجهاد في سبيل الله مقام الاعتكاف في المساجد بغرض تأدية الصلاة² .

كما عُرفت هذه الدولة بمسمّيات أخرى منها اسم اللمتونيين المرتبط - في اعتقادنا والله أعلم - بقبيلة لمتونة والذي تناولته عدة مدونات مصدريّة³ لكن هناك من قال بأن اصطلاح اللمتونيين مشتق لفظه من الثوب البسيط المُسمّى بللمت ، والمعلوم أنّ المرباطين ضواعتن في الصحراء سمّتهم الهداوة والتّرحال⁴ . ومن التسميات الأخرى المُلتَمّنون التي تداولتها مصادر أخرى على شاكلة ابن الأثير الجَزَري وابن عذاري المراكشي وصاحب الحلل الموشية⁵ ، وفي الوقت الذي يذكر مُصنّف الحلل الموشية أنّ المرباطين اتّخذوا من اللثام زياً رسمياً لهم بعد أن أكرمهم الله بالنّجاة من عدوهم وهو ما جعلهم يلازموه حتى تلقّبوا بالملتّمين⁶ ، ذكرت روايات أخرى بأنهم تلتّموا لشدة الحر وحتى البرد⁷ أو

¹ محمد بن جرير الطبري : جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط 1 ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001 ، ج 6 ، ص 337 .

² شهاب الدين النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ج 6 ، ص 169 - 170 .

³ على شاكلة ابن عذاري المراكشي في البيان وابن أبي زرع الفاسي في روض القرطاس ، والمقرّي في النفح وعند ابن الأبار وعند ابن عبد الملك المراكشي في كتاب الذيل والتكملة ، وعند ابن فرحون في ديباجه وعند ابن الخطيب في الإحاطة والسلوي ، وغيرها ذلك من المُصنّفات الخبرية .

⁴ يوسف أشباح : تاريخ الأندلس في عهد المرباطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 ، ص 67 .

⁵ ابن الأثير الجَزَري : الكامل في التاريخ ، تحقيق : محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، ج 8 ، ص 327 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرباطين) ، ص 07 ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 19

⁶ نفس المصدر السابق ، ص 19 .

⁷ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، ج 7 ، ص 129 ؛ ابن الأثير الجَزَري : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 330 .

لربما للتّمويه عن الأعداء¹ ، بل وربط مؤرخون آخرون ارتداء اللثام بحادثة وقعت لنسائهم وأسهمت في دفع العدو عنهم فلابزمو اللثام وصار من عوائدهم² .

قامت دولة المرابطين على المذهب السني المالكي الذي جعلته مذهبا الرسمي³ ، والتزمت بالشريعة الإسلامية في كل تنظيماتها الإدارية والعسكرية⁴ ، حتى وصفها ابن الخطيب بقوله : أنها « دولة خير وجهادٍ وعافية وأكثر الدول جَزْياً على السنّة »⁵ ، والجدير بالذكر أن دولة المرابطين كانت حركة دعوية هدفها الإصلاح الديني والاجتماعي قبل أن تصبح مشروعا سياسيا . إذ شهدت مناطق من بلاد المغرب الأقصى انحرافات دينية خاصة في برغواطة⁶ وقبائل زناتة وكذلك قبائل جبال غمارة⁷ . وهو ما جعل جِلّة من الفقهاء يأخذون على عاتقهم مهمة الإصلاح والتغيير أمثال الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي⁸ والفقهاء أبو عمران الفاسي¹ ، والفقهاء واجاج ابن زلوان ، الذي كان في دار

¹ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 129 .

² للاستزادة حول ماجرايات الحادثة يُراجع : ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 7 ، ص 130 ؛ ابن الأثير الجَزْري : المصدر السابق ، ج 8 ، ص 330 .

³ أبو عبيد البكري : المُغرب في ذكر بلاد إفريقيا والمغرب (والذي هو جزء من الكتاب المُسمّى بلمسالك والممالك) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت ، ص 164 .

⁴ مؤلف مجهول : مَفَاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط 1 ، دار أبي رقراق ، الرباط ، 2005 ، ص 145 .

⁵ ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام (القسم الثالث المُختص بالمغرب) ، تحقيق : محمد إبراهيم الكتاني وأحمد مختار العبادي ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 ، ص 265 .

⁶ للتّزيد عن هذه الانحرافات أنظر : البكري : المصدر السابق ، ص 138 وما بعدها .

⁷ عن هذه الانحرافات أنظر : مؤلف مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 ، ص 190 .

⁸ واسمه يحيى بن عمر بن تلاكين أبو زكريا اللمتوني ، ويُعدُّ المؤسس لدولة المرابطين حين ابتدائها ، وقد ذكره أبو عبيد البكري باسم يحيى بن عمر بن تلاجاجين . في حين يذكره ابن عذاري المراكشي صاحب البيان باسم يحيى بن عمر بن بولنكاين اللمتوني . قارن بين : البكري : المصدر السابق ، ص 165 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 09 .

المرابطين بمدينة نفيس (عند أغمات) ، والذي التحق بالفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي المعدود العمد الروحي لحركة المرابطين .

وتتفق المدونات المصدريّة على حُظوة الفقيه لدى البلاط المرابطي مُذ كان المرابطون حركة دعوية وحتى انقراض هذه الدولة ، فقد كان الفقيه ابن ياسين بمثابة الحاكم الفعلي أيام الأمير يحيى بن عمر اللمتوني² ، وكان الأمير يوسف بن تاشفين يعظّم الفقهاء ويصرف الأمور إليهم ويمثل لفتاواهم³ ، أما الأمير علي بن يوسف بن تاشفين فقد كان لا يقطع أمراً في مملكته دون استشارة الفقهاء الذين كانت أمور المسلمين راجعة إليهم وأحكامهم موقوفة عليهم⁴ .

3. تجليات مُوالة الفقهاء للسلطة (الفقيه ابن ياسين والتمكين للدولة)

¹ هو أبو عمران موسى بن عيسى بن أبي حاج الغفجومي فاسي الأصل نزيل القيروان ، أين تفقه بها ليُشدّ الرحال بعدها إلى قرطبة ثم مصر فمكّة التي حجّها غير مرّة ثم نزل ب بغداد سنة 399 هـ / 1008 م ، وكان بما سبق من محطّات يتلقّى العلوم على يد جُلّة من الفقهاء ، ثم انصرف بعدئذٍ إلى القيروان فذاع صيته واشتهر بها الشُّهرة التامة ليتفقه على يديه طائفة من طُلاب العلم حتى راجت فتاويه مشرقاً ومغرباً ، وقد توفي سنة 430 هـ / 1038 م . أبو زيد عبد الرحمان الدبّاغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1978 ج ، 3 ، ص 159 وما بعدها .

² ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 09 ؛ مُؤلّف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 21 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 126 - 127 .

³ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 46 .

⁴ عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 121 ؛ وبلغت حُظوة الفقهاء عند حكام المرابطين مكانة عليّة حتى أورد لنا التادلي أن الأمير علي بن يوسف زار أحد الفقهاء في بيته أثناء مرضه يدعى أبو محمد أبو الأمان لكي يطمئن عليه . التادلي (ت 628 هـ) : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق : احمد التوفيق ، ط 2 ، منشورات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1997 ، ص 152 .

يُعزى كثيرٌ فضلٍ للفقيه عبد الله بن ياسين في بلورة مشروع الدولة المرابطية ، إذ كان له الفضل في إدارة فعل المrapطة فيما وراء صحراء شنقيط أين توافدت إلي هـ سيول الطلبة ليبدأ بهم مشروع الفتح وحياسة المجال . وتتداول المصنّفات اسم هذا الفقيه بـ : عبد الله بن ياسين بن مكوك بن سير بن على الجزولي ، وموطنٌ ولادته قريه تُعرف باسم : "تمامناوت" واسم أمّه "تين يزمارن" ¹ ، وهو من أهل جزولة درس على فقيه السوس وجاج بن زلوان ثم رحل إلى الأندلس وأقام بها سبعة أعوام أين استزاد في طلب العلم ، وقد دخل المغرب الأقصى مع الأمير يحيى بن إبراهيم الجدالي إلى جدالة ² ففرحوا بمقدمه وعظموا أمره وبدأ يُعلم الناس في أمور دينهم ³ ، بدأ الفقيه ابن ياسين برحلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، فتعلق به عامة الناس وهو ما جعل أمراء وأشراف تلك المناطق يفكرون في إبعاده نهائياً فعزلوه وهدموا داره بعد أن دبروا له مكيدة ⁴ جعلت عزمته تفتر حتى فكر ابن ياسين في العُدول عن مشروعه لكن الأمير يحيى بن إبراهيم أقنعه بالمرابطة في أحد الرباطات في السنغال قائلاً له إن كنت تريد الآخرة فهاهنا جزيرة في البحر إذا انحسر ماؤها دخلنا إليها على أقدامنا وإذا ارتفع منسوب مائها دخلناها في الزوارق ، ثم زاد في ترغيبه بقوله له أن القوت والمعاش في هذه الجزيرة حلالٌ مَحْضٌ لاشك فيه من الثمار وصنوف صيد البحر والبر كالحياتان والطيور والوحش ، وهذا ما جعل الفقيه ابن ياسين يستسيغ الأمر ويوافق على المَقْدَم إلى هذه الجزيرة ⁵ قرب حوض نهر السنغال أين أسس رباطاً مخصوصاً للتعبّد وحفظ القرآن كما تفسيره ⁶ .

بدأت المrapطة في الجزيرة عام 433هـ/1040م بعدد قليل من الناس ليأخذ العدد في التزايد حتى بلغ الألف من أتباع الفقيه ابن ياسين وهو ما اضطره لوضع شروطٍ قاسية لينتقي منهم الأكثر

¹ البكري : المصدر السابق ، ص 165 .

² ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 10 : مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 20 .

³ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص ص 9 - 10 : ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 124 .

⁴ عن تفاصيل هذه المكيدة يُراجع : البكري : المصدر السابق ، ص 165 : ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص ص 8 - 9 .

⁵ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص ص 124 - 125 .

⁶ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 .

إيماناً وصبراً وتحملاً للمشاق ، وهو إذ ذاك يعلمهم الجهاد وأحكامه ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقيم الحدود الشرعية¹ . اشتهرت مُرابطة الفقيه ابن ياسين فتسامع بأمره من في قلبه مثقال حبة من خير وتسابلت إليه الوفود وكثُر أتباعه² . فلما استكمل قوتهم أمرهم بالخروج لتوحيد قبيلة صنهاجة ، وبدأ عملياته العسكرية بثلاثة آلاف مرابط ، ليظهر دوره الفعّال في التمكين للمرابطين من خلال مداهمته لتلك الأحواز والمناطق والقبائل فأذعنت له قبيلة جدالة عام 434 هـ / 1042 م³ وبإيعته لمتونة⁴ ، ثم غزى سائر قبائل الصحراء فدان بعضها بالسيف والبعض الآخر بالإقناع⁵ . وقد تم فتح درعة بعد قتال عظيم بين الفريقين أفضى إلى الفتح وانهزام أهل درعة ومقتل زعيمهم الأمير مسعود المغراوي وغنيمة المرابطيين ، ثم منح الفقيه ابن ياسين خمس الغنائم لفقهائه وصلحاء سجلماسة ودرعة والباقي وزّعه على المرابطيين ، وكان ذلك سنة 447 هـ / 1056 م على الأرجح⁶ ، ثم فتحوا سجلماسة وأصلحو أحوالها وغيروا فيها المنكرات وأسقطوا على الناس المغارم والمكوس وتركوا ما أوجب الكتاب والسنة تركه⁷ .

من خلال ما سبق يظهر الدور الجلي للفقيه عبد الله بن ياسين في منشأ دولة المرابطيين منذ أن تسابل إليه جموع الطلبة وتكاثروا وهو ما جعله يفرض شروطاً لاختزال أعدادهم ، هؤلاء الطلبة الذين نشأوا على تعاليم الإسلام السني الصحيح وشظف العيش والاستعداد للجهاد تحولوا إلى جيش

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص ص 125 - 126 .

² عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 .

³ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 ؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 125 .

⁴ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 21 .

⁵ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطيين) ، ص ص 12 - 13 ؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 21 .

⁶ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 127 ؛ بينما يجعل عبد الرحمان بن خلدون فتحها سنة 445 هـ . عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 ؛ في حين تحدث ابن عذاري المراكشي عن الفتح دون تحديد تاريخ نافذ لذلك . ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطيين) ، ص 14 .

⁷ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، 128 ؛ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 .

هادر قوامه آلاف من الرجال¹ غزوا المناطق الواحدة تلو الأخرى وهو (الفقيه ابن ياسين) في ذلك يُحرّضهم على الجهاد وإقامة الشريعة² ، كما صحح عقائد من حاد من المناطق عن شريعة الله ، حتى أذعنت القبائل إلى السلطة الجديدة طوعاً أو كرها ، كما يظهر دور الفقيه ابن ياسين في التمكين للدولة المرابطية من خلال فتح كثير من المناطق وإخضاعها لسلطانه وبذلك بدأت تتوسع مجالات دولتهم الجديدة³ . كما كان الفقيه ابن ياسين كان بمثابة القائد الروحي « فانقادوا إليه انقياداً عظيماً وأولوه براء وتكريماً ولازموه مدّة طويلة »⁴ حتى وصلت بهم الطاعة أن قالوا له مُرّنا بما شئت ستجدنا مطيعين سامعين حتى لو أمرتنا بقتل أبنائنا لأطعنا⁵ ، خاصّة وأنهم عاينوا غير مرّة كراماتٍ له أكّدت لهم صلاحه وصدق عقيدته⁶ وهذا ما يُجَلّي طاعة المرابطين لزعيمهم ابن ياسين ، ناهيك عن الدور الذي اضطلع به الفقيه ابن ياسين في التعليم والفتيا⁷ مُذ ابتداء مشروع دولته إلى حين وفاته .

لم يتوقف دور الفقيه بن ياسين عند التعليم والفتيا وتكوين الشباب والنّجّ بهم في مشروع الفتح وتحريضهم على الجهاد بل شارك السلطة المرابطية في إدارة الدولة وصنع القرارات حتى ذكر صاحب الحلل الموشية أن الفقيه عبد الله بن ياسين في الحقيقة هو الأمير لأنه هو الذي يأمر وينهى⁸ ، وذكر صاحب روض القرطاس أن الفقيه عبد الله بن ياسين بمثابة الحاكم الفعلي فهو الذي يأمر وينهى

¹ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 243 ؛ غير أن المؤرخ ابن أبي زرع الفاسي يتحدث عن ثلاثة آلاف شاب مُرابط . ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 125 .
² المصدر السابق ، ص 125 .

³ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص ص 243 - 244 .

⁴ مؤلّف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص ص 20 - 21 .

⁵ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 125 .

⁶ عن هذه الكرامات أنظر : البكري : المصدر السابق ، ص 169 ؛ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 16 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 133 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم الثالث المُختص بالمغرب) ، ص 231 : السلاوي : المصدر السابق ، ج 2 ، ص 18 .

⁷ أنظر مثلاً : ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 124 .

⁸ مؤلّف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 21 .

وينظر في أمر عقيدتهم بينما كان الأمير المرباطي يحيى بن عمر اللمتوني ينظر في أمر حروبهم¹ ، حتى صار الأمير يحيى بن عمر أكثر قادة المرباطين انقياداً للفقهاء ابن ياسين وامثالاً لأوامره² ، ومن صور هذا الامتثال أن وصل الأمر بالفقهاء إلى تأديب هذا الحاكم ، ففي إحدى الحروب قال الفقهاء ابن ياسين للأمير يحيى بن عمر: أيها الأمير إن عليك أدبا ، فقال له يحيى: وما الذي أوجبه عليّ؟ فقال له الفقهاء: لا أخبرك حتى أخذ حق الله منك ، فضربه بالسوط ضربات في رجله ، ثم قال له: إن الأمير لا يدخل القتال بنفسه لأن حياته مقرونة بحياة جُنْدِه وهلاكه هو هلاك لهم³ . إن ما عرضناه سابقاً يؤكد ذلك التوافق الحاصل بين السلطتين الدينية والسياسية بل حتى لقد فاقت سلطة الفقهاء نظيره السياسي أحيانا وهو ما يجعل بحق التجربة المرباطية من التجارب النادرة التي تحظى فيها السلطة الدينية بالمكانة اللائقة بها .

4. تجليات معارضة الفقهاء للسلطة في التجربة المرباطية

من سُنن الله عز وجل الاختلاف والتدافع ، فلم يكن جميع الفقهاء أيام المرباطين لتتماهى أفكارهم وطُروحاتهم مع منهج وأفكار فقهاء السلطة ، فقد مثل بعضا منهم تياراً مخالفاً في الفكر بل ووصل ببعضهم إلى مناوئة السلطة بل ومُقاتلتها ، فمن تمثّلات الاختلاف والتعارض الحاصل على المستوى الفكري مُصادرة الأفكار كما حصل في حادثة إحراق كتاب الإحياء للإمام أبي حامد الغزالي⁴ . حيث أمر الأمير المرباطي علي بن يوسف بن تاشفين بإحراق هذا الكتاب سنة 503 هـ وهذا بإجماع القاضي ابن حمدين وفقهاء قرطبة أين تم إحراق هذا المؤلف ع ند الباب الغربي من رحبة المسجد ، بجلوده بعد إشباعه زيتا ، بحضور جمهور من أعيان الناس⁵ ، وأرسل إلى جميع أعيان الدولة يأمر

¹ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 126 – 127 .

² البكري: المصدر السابق ، ص 166 : ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرباطين) ، ص 09 .

³ نفس المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرباطين) ، ص 11 .

⁴ عن تفاصيل حادثة الإحراق انظر: ابن القطان : نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 ، ص ص 70 – 72 : ابن

عذاري المراكشي: المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرباطين) ، ص 59

⁵ نفس المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرباطين) ، ص 59 : ابن القطان : المصدر السابق ، ص 70 .

بإحراق هذا الكتاب¹. لكن هل من الممكن أن تكون حادثة الإحراق مسألة شخصية أم اجتهاد فقهي صرفٌ صادر من المؤسسة القضائية ؟ وما هي جملة التبريرات التي قدّمها المدونات الفقهية لهكذا صنع ؟ وهل حقيقة أن القرار الفعلي للإحراق كان من لدن الأمير المرابطي أم هو مجرد سلطة تنفيذية لقرار السلطة القضائية ؟

إن الشائع هو إلحاق مسؤولية الإحراق بالأمير المرابطي علي بن يوسف ذلك أنها وقعت سنة 503 هـ أيام حكمه ، لكن ذلك في اعتقادي - والله أعلم - خطأ شائع . إذ أن قرار إحراق كتاب الإحياء صادر عن السلطة القضائية التي يمثلها الفقيه ابن حمدين وشاركه فيه فقهاء من قرطبة وبذلك فهو شأن قضائي فقهي صرف والسلطة الحاكمة هنا في حكم المُنفذ للقرارات القضائية ، خاصة وأن المدونات المصدّرية أكدت أن أمراء المرابطين كانوا لا يقضون أمراً دون مُشاورة الفقهاء² ، ويبدو أن قرار الإحراق الذي أجمع عليه فقهاء قرطبة كان له ما يُبرره إذ أن مدونات فقهية أخرى تماهت مع قرار الإحراق لاشتمال الكتاب على بعض أغاليط التصوف ، واحتوائه على أحاديث ضعيفة وموضوعة³ ، كما أوعز شمس الدين الذهبي سبب الإحراق بقوله أنّه استحكم في ذهن الأمير علي بن يوسف أن الكلام بدعة لم يعرفها السلف ، وهو ما جعله يأمر بإحراق تأليف الشيخ أبي حامد ، بل ويتوعد بالقتل من كتمها⁴.

وما يدحض أي حسابات شخصية بين السلطة المرابطية والإمام الغزالي قد تُقرأ على أنها مبعثُ الإحراق هو عدم وجود سابق عداوة بينهما حتى أن الغزالي كان ينوي القدوم إلى سلطان المغرب

¹ ابن عذاري المراكشي : المصدر السابق ، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين) ، ص 59 ؛ شمس الدين الذهبي : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ج 20 ، ص 124 .

² عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 121 .

³ ابن تيمية : مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، 1415 هـ ، ج 10 ، ص 552 ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1992 ، ج 17 ، ص 125 .

⁴ شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ، ج 20 ، ص 124 .

يوسف بن تاشفين لما بلغه من عدله لولا أن وصله نبأ وفاته¹، بل إن الإمام الغزالي كان قد وقف مع الأمير يوسف بن تاشفين ضد ملوك الطوائف حينما أفتى بجواز ضم دولهم إلى حاضرة المرابطين وأرسل نص فُتياه إلى الإمام ابن عربي². وبذلك فالأمر لا يعدو أن يكون قضية فقهية محضة لا علاقة لها بأي حسابات سياسية أو شخصية. رغم أن هناك من تهجم على حادثة الإحراق وراح يصف فقهاء المرابطين بالجهلة وأن هذا الفعل الشنيع هو من أسباب أفول نجم المرابطين وزاؤل مُلكهم وانتثار سلكهم واستئصال شأفتهم³، وراح المؤرخ ابن القطان المراكشي ومن نقل عنه يدعم هذه المقاربة بإيراده للمحاورة الدائرة بين أحد الطلبة المغاربة الداخلين على الإمام الغزالي في حلقات الدروس في المشرق حيث سألته عن تعاطي القرطبيين مع كتاب الإحياء فأبلغه بأنهم أحرقوه فمدَّ الغزالي يده للدعاء بزوال دولة المرابطين التي أحرقت كتابه، فقام ابن تومرت وقال له: أدعُ أن يكون ذلك على يدي فتغافل الغزالي عنه، وبعد أيام جاء شيخ مغربي آخر فسأله فأكد له خبر إحراق كتاب الإحياء فكرر الغزالي الدعاء بزوال الدولة اللمتونية، حينها قال ابن تومرت: على يدي إن شاء الله، فقال الإمام أبو حامد لغزالي: اللهم اجعل ذلك علي يديه⁴. لكن يجب الأخذ في الحسبان أن سرديّة ابن القطان والتي اجتزتها مدونات لاحقة ليست بالحقيقة المطلقة أو على الأقل قد يكون التوافق الحاصل بين الدعاء وبين السقوط هو أمر عادي ذلك أن انقراض الدول أمر شائع وقتئذٍ. وإلا فإنَّ عبد الرحمان بن خلدون قد ذكر أن المهدي بن تومرت كان يحدث نفسه بقيام دولة بالمغرب على يديه، وهو ما كان الكُهان والحزاء يترقبونه وقتئذٍ⁵.

ومن مظاهر أشكال التعارض والعداء الواقع بين الفقهاء والسلطة المرابطية دخول مجموعة من الفقهاء والقضاة في التشغيب والثورة وتأييدهم للعامة على السلطة، ومن تمثّلات ذلك ما أقدم

¹ تاج الدين السُّبكي: طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: عبد الفتاح محمد الحلو ومحمود محمد الطناحي، دار إحياء الكتب العربية، د.م، د.ت، ج 6، ص 199.

² نص الفُتيا نقله عبد الله عنان عن مخطوط بالمكتبة الكتانية الكائنة بلرباط. عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس -، ط 2، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1990، ص ص 42-43.

³ ابن القطان: المصدر السابق، ص 71.

⁴ المصدر السابق، ص 73؛ ابن عذاري المراكشي: المصدر السابق، ج 4 (القسم المختص بالمرابطين)، ص ص 59-60؛ مؤلف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 105.

⁵ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 302.

عليه قضاة وفقهاء بالعدوة الأندلسية حيث ناصبوا العداء للسلطة وأججوا ثورات شكّلت معول هدم وكسرٍ للسكينة الأمنية ، ومن أولئك ثورة القاضي ابن حمدين في قرطبة سنة 539 هـ والذي كاتب قضاة الأندلس داعياً إياهم لخلع بيعة المرابطين فاستجاب له ابن ضحى الذي أذكى نار الثورة هو الآخر في حاضرة غرناطة ¹ ، ومن الثورات الأخرى ثورة ابن حسون في مالقة ذات السنة ² ، وثورة القاضي ابن عبد العزيز ببلنسية سنة 539 هـ ³ أو ثورة أبي جعفر بمرسية ⁴ وغير ذلك من الثورات ، غير أن أهم ثورة ضعفت الكيان المرابطي وأفضت لاحقاً إلى زواله هي التي أقدم عليها الفقيه السوسي محمد بن تومرت . فمن هو الفقيه ابن تومرت ؟ وما مرجعيته ؟ وما مراحل مناوئته للسلطة المرابطية ؟

أورد النسابة والمؤرخون ⁵ نسب محمد بن تومرت والذي فيه بعضٌ من التباين غير أنه يُمكن الاستئناس بالنسب الذي أورده أبو بكر بن علي الصنهاجي المعروف اختصاراً بالبيذق كونه تبعه وكتابه ورفيقه والذي مُسَمِّلَه : محمد بن عبد الله بن وكليد وحتى انتهائه عند الحسن بن فاطمة التي هي بنت النبي صلى الله عليه وسلم ⁶ ، وُلِدَ ابن تومرت سنة 491 هـ على حسب ما أورده الزركشي ¹ ، لكن

¹ ابن الأثير : المعجم في أصحاب القاضي الصدي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 ، ص 239 ؛ ابن الأثير : الحلة السيرة ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ج 2 ، ص 212 .

² ابن الخطيب الغرناطي : أعمال الأعلام - فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - ، (القسم المختص بالأندلس) ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 ، ص 255 .

³ ابن الأثير : الحلة السيرة ، ج 2 ، ص 218 ؛ ابن الخطيب : أعمال الأعلام (القسم المختص بالأندلس) ، ص 256 .

⁴ ابن الأثير : الحلة السيرة ، ج 2 ، ص 229 ؛ ابن الأثير : المعجم ، ص 239 .

⁵ لمعرفة سلسلة نسب ابن تومرت أيضاً أنظر مثلاً : مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 103 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 46 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 301 ؛ الزركشي : تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، ط 2 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 ، ص 3 .

⁶ أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنى بلبليذق : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص 12 .

ابن خلكان قال بمولده سنة 485 هـ² ، وقد تربى في أحضان أسرته التي كانت أهل نسك ورباط وشبّ محمد بن تومرت قارئاً محباً للعلم³ بمسقط رأسه بجبل السوس أين نشأ هناك⁴ ثم توجه إلى بلاد المشرق طلباً للعلم على رأس المائة الخامسة⁵ . وحين عودته إلى المغرب جاز على عدة حواضر أهمها مصر أين بالغ في الإنكار فأوذى وطُرد⁶ ثم رحل عنها إلى الإسكندرية⁷ حتى عبر على تونس وبها قصده طلبة العلم ثم مرّ على قسنطينة حتى وصل ملالة التي بنى بها جامعاً والتقى فيها بعبد المؤمن بن علي الذي يصير رفيقه وخليفته إلى حين وفاته⁸ ، حين وصل ابن تومرت إلى مراكش دار ملك المرابطين راح يُريق الخمر ويكسر آلات الطرب ويُنكر على النساء السفور وأمرهنّ بستر وجوههن وضرب رقعة معاوينه دوابهنّ حتى سقطت أخت أمير المرابطين من على دابّتها وكان صنيع المهدي هذا قد أكثر من أتباعه وحسّنت ظنون الناس فيه⁹ ، فلم بلغ الأمر إلى أمير المرابطين استدعى ابن تومرت الذي كان بأحد

¹ الزركشي : المصدر السابق ، ص 4 .

² ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 53 .

³ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 301 .

⁴ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 46 .

⁵ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 61 ؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 127 ؛ ابن عذاري : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ج 3 . س كولان ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 1 ، ص 303 ؛ مؤلف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 103 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 301 .

⁶ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 47 ؛ شمس الدين الذهبي : المصدر السابق ، ج 19 ، ص 542 .

⁷ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 127 ؛ شهاب الدين النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 153 .

⁸ البيذق : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحيدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 ، ص 11 - 13 .

⁹ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 174 ؛ ابن الأثير الجَزْري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 196 ؛ شهاب الدين النويري : المصدر السابق ، ج 24 ، ص 154 ؛ بينما ينفرد عبد الرحمان بن خلدون بالقول أن المهدي وبّخ أخت أمير المرابطين فالتحقت بالبلاط شاكية حالها لأخيها . عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 303 .

المساجد المبنية بالطوب¹ أين جرت مناظرتان فقيهتان كانت الأولى يوم الجمعة حين أقبل ابن تومرت إلى جامع علي بن يوسف ، فوجده جالساً والوزراء من حوله واقفون ، فقال الوزراء للمهدي : ردّ الخلافة على الأمير ، فقال لهم : وأين الأمير ؟ إنما أرى أمامي جوارى منقبات ، فلما ترامت مقالة المهدي إلى مسامع الأمير علي بن يوسف أزال النقاب من على وجهه ثم قال للحضور : صدق ، وهو ما جعل ابن تومرت يُخاطب الأمير قائلاً له أنّ الخلافة لله وليس لك يا علي² ، والظاهر أن أمير المرابطين لم يُبد أي غِلظة أو عنفوان في التعاطي معه ، وهو ما قد يكونُ شجع ابن تومرت في إغلاظ القول للأمير المرابطين حين قال له : يا علي فَم عن هذه المغيّرة تَكُن إماماً ع ادلا ، ولا تقعد على هذه الغفارة المغيّرة ، فأزالها وأعطاهما لصاحبها³ ، ثم قال له وما تغيرها ؟ فردّ له بالقول أنها تقعد بالنجاسة ، ليخرج بعدها ابن تومرت إلى باب المسجد ويدخل مع فقهاء المرابطين في مناظرة قهرهم فيها القهر الكلي⁴ .

واصل الفقيه ابن تومرت في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى تم استدعاؤه إلى مجلس الأمير علي بن يوسف مرة أخرى فلما مثلَ بين يدي الأمير المرابطي علي استحقّره وهان عليه لتقشفه وراثته حاله ، ثم قال له : ما بلغنا عنك من أنباء ؟ فقال محمد ابن تومرت : وما الذي بلغك عنا أيها الأمير ؟ إنما أنا رجل فقير طالب للأخرة لا طالب للدنيا ولا حاجة بي إليها ، لكنّي أمر بالمعروف وأنهى عن المنكر ، وأنت أولى الناس بمعرفة ذلك ، ومُسئول عنه ، والواجب عليك إحياء السنة وإماتة البدعة ، ثم ذكّر ابن تومرت الأمير علي بشيوع المنكرات البدع في دولته ، وذكّره بوجوب تغييرها وإحياء السنة إذ له القدرة على ذلك⁵ ، فلما سمع أمير المرابطين ذلك هابه وأطرق برأسه تلقاء الأرض يُفكر ملياً في مقالة ابن تومرت⁶ . ليستدعي بعدئذ الأمير علي بن يوسف الفقهاء لمناظرة المهدي واختباره ، فحضر الطلبة والفقهاء وأشياخ متونة وأعيان الدولة حتى غصّ المجلس بالحاضرين فدخل فقهاء المرابطين في

¹ البيهقي : أخبار المهدي ، ص 27 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 174 ؛ ابن الأثير الجَزْري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص 196 .

² البيهقي : أخبار المهدي ، ص 27 .

³ والمقصود صاحبها ومستحقها .

⁴ البيهقي : أخبار المهدي ، ص 27 .

⁵ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 174 .

⁶ نفس المصدر ، ص 174 .

مجادلة ابن تومرت فيهرهم بطريق أنوار العلم بعدما أُغْلِقَتْ دونهم أبواب الفهم¹ وأخذتهم فضيحة العجز² ، فلم يكن فيهم من يعرف ما يقول عدا رجلاً واحداً اسمه مالك بن وهيب الذي شارك جميع العلوم فكان عالماً موسوعياً والذي ناظر المهدي³ .

لقد كان تفوق المهدي بن تومرت على فقهاء البلاط المرابطي بائناً بينونةً كبرى ومردُّ ذلك أن جلَّ فقهاء المرابطين الذي ناظروا المهدي أصحاب حديثٍ وفروع لا معرفةً لهم بالأصول والجدلِ خلافَ المهدي بن تومرت الذي كان ضليعاً في علم الجدل⁴ ، وهو ما جعل فقهاء السُّلْطة يستشعرون خطره ويتوجَّسون منه ، فحدَّر مالك بن وهيب أمير المرابطين من خطر المهدي قائلاً له أنه هو صاحب الدرهم المكنى وعليك يا أمير أن تجعل له كبالاً لئلا يُسمعك طبعاً⁵ ، غير أن تقوى الأمير وورعه وتقديره لأهل العلم حال دون حدوث ذلك⁶ ، فلمَّا يئس الناصحون من قتل المهدي أوعزوا إلى الأمير بسجنه⁷ ، بينما اكتفت مدونات بقولها أن المهدي بعد مناظرته خرج ملتحقاً بأغمات دون إشارة إلى ما أسلفنا من مقترحات بطنانة الأمير⁸ .

¹ للاستزادة في معرفة تفاصيل المناظرة انظر: ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 174 – 175 .
² البيذق: أخبار المهدي ، ص 27 ؛ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 130 ؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 174 ؛ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 303 ؛ ابن خلِّكان: المصدر السابق ، ج 5 ، ص 50 .

³ حتى هجاهُ بعض خصومه بقولهم فيه :

دولة لابن تاشفين علي ظهرت بالكمال من كل عيب

غير أن الشيطان دسَّ إليها من خباياه مالك بن وهيب .

المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1988 ، ج 3 ، ص ص 479 – 480 .

⁴ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 131 ؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق ، ص 174 .

⁵ البيذق: أخبار المهدي ، ص 27 ؛ الزركشي: المصدر السابق ، ص 5 .

⁶ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق ، ص 131 .

⁷ نفس المصدر السابق ، ص 131 ؛ البيذق: أخبار المهدي ، ص 28 .

⁸ الزركشي: المصدر السابق ، ص 5 ؛ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق ، ج 6 ، ص 303 .

توجّه ابن تومرت إلى تينمل مسقط رأسه أين استساغ الناس دعوته وأُشربت قلوبهم محبّته واستساغوا دعوته ، فلمّا استوثق منهم دعاهم إلى إسناده والقيام معه لكن دونما عنف أو مقاتلة للمرابطين إنّما على صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا غير وأقاموا على ذلك مدة . ثم بسط يده فبايعه المصامدة¹ سنة 515 هـ . ليخرج ابن تومرت لمُقاتلة المرابطين في سلسلة مناقشات ومقاتلات طويلة تبادل فيها معهم النصر والهزيمة² ليرجع بعدها إلى تينمل سنة 518 هـ على الأرجح³ ، وبها وبني بها داره ومسجده⁴ ، ثم عمد إلى تحصين المدينة فأدار عليها سوراً أعلى الجبل ثم جعل في قمته حصناً يكشفُ له ما وراء الجبل⁵ ، بعد ذلك خرج المهدي بن تومرت إلى قتال من تخلف على بيعته كهزرجة وهكسورة وغجرامة وكنفيسة وهرغة وغيرهم فانتصر عليهم وقسّم أسلابهم على الموحدين حتى استقام له الأمر⁶ ، ثم رجع إلى تينمل ليُقدِّم على ما يُسعى بالتمييز⁷ أين تخلّص فيه من المعارضين الذين

¹ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 123؛ البيذق : أخبار المهدي ، ص 34 ؛ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 132 ؛ الزركشي : المصدر السابق ، ص 6 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 51 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 304 .

² لمطالعة جملة المعارك والوقيعات الحاصلة بين ابن تومرت وعساكر المرابطين أنظر: البيذق : أخبار المهدي ، ص ص 35 - 38 .

³ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 304 ؛ بينما ذكر ابن أبي زرع الفاسي تاريخ 519 هـ وقال عبد الواحد المراكشي بتاريخ 517 هـ . قارن بين : عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 135 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 178 .

⁴ الزركشي : المصدر السابق ، ص 6 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 304 .

⁵ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 140 ؛ مؤلّف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 112 .

⁶ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 141 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 304 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص ص 178 - 179 .

⁷ البيذق : أخبار المهدي ، ص 39 ؛ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 156 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 53 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 178 ؛ عبد الرحمان بن خلدون : المصدر السابق ، ج 6 ، ص 305 .

وصفتهم مدونات الموالاتة ومن نقل عنها بالمنافقين والخبثاء والأشقياء¹ وأخى بين من بقي من أصحابه ومُشايغيه². والحقيقة أنّ ما أقدم عليه المهدي ما هو إلا جريمة نكراء³ وصفتها بعض المصادر بالحيلة للتخلص من مناويّه⁴، ليرسل ابن تومرت بعدئذٍ جيوشه لحصار مراكش سنة 524 هـ بقيادة الوئشريسى⁵ وقيل عبد المؤمن بن علي الذي استحقّ من يومها لقب أمير المؤمنين⁶، بينما غاب ابن تومرت لمرضٍ قد يكون أَلَمَّ به حسب ما أفصح عنه صاحب الحلل الموشية⁷، لتقع معركة البحيرة قرب مراكش أين انتصر المرابطون وكانت الدائرة على الموحدين⁸.

¹ أنظر على سبيل الذكر لا الحصر: ابن القطان: المصدر السابق، ص 147؛ البيذق: أخبار المهدي، ص 39؛ عبد الرحمان بن خلدون: المصدر السابق، ج 6، ص 305.

² ابن القطان: المصدر السابق، ص 141؛ ابن الأثير الجَزَري: المصدر السابق، ج 9، ص 199.

³ شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج 19، ص 545؛ ابن تيمية: المصدر السابق، مجلد 11، ص 478؛ ابن قيم الجوزية: المنار المنيف في الصحيح والضعيف، تحقيق: يحيى بن عبد الله الثمالي، ط 1، دار علم الفوائد، مكة المكرمة، 1428 هـ، ص 254؛ ووصف الشاطبي أن القتل صار شريعة لدى المهدي، فمن شك في عصمته قُتِل ومن شك في مهدويته قُتِل ومن تمادى في عصيان الأوامر قُتِل. الشاطبي: الاعتصام، ضبط وتقديم: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، مكتبة التوحيد، د.م، د.ت، ج 2، ص 439.

⁴ ابن خلكان: المصدر السابق، ج 5، ص ص 52 - 53.

⁵ البيذق: أخبار المهدي، ص 39؛ مؤلّف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 114.

⁶ عبد الواحد المراكشي: المصدر السابق، ص 135؛ ابن أبي زرع الفاسي: المصدر السابق، ص 179.

⁷ مؤلّف مجهول: الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية، ص 114.

⁸ ابن القطان: المصدر السابق، ص ص 160 - 161؛ شمس الدين الذهبي: المصدر السابق، ج 19، ص 550؛ ابن الأثير الجَزَري: المصدر السابق، ج 9، ص 200؛ شهاب الدين النويري: المصدر السابق، ج 24، ص 158.

بعد هذه الهزيمة رجع من بقي من الموحدين أين جعل ابن تومرت يُهَوِّن عليهم ويستنهضهم ليشدد المرض به ويتوقَّاه الأجل في شهر رمضان من عام 524 هـ / 1130 م¹. لتدخل دعوة الموحدين مرحلة أشد ضراوة بقيادة عبد المؤمن بن علي الذي تمكن من تقويض مُلك المرابطين ودخول مراكش عام 541 هـ.

يبدو من خلال ما سبق أن محبة المهدي بن تومرت للرئاسة والظهور جرَّته لارتكاب المحظور ودعوى الكذب والزور² مُستغلا تفقُّهه في الدين مُتحيلاً³ على جُهال المصامدة⁴ تارة وبتخويفهم تارة أخرى حينما أقدم على ما يستحقُّه التمييز الذي ما هو - في الحقيقة - إلا حيلةٌ تخلص فيها من مناوئيه ، وليت الأمر بقي هنا بل وجعل يُدَكِّرُ أتباعه بالمهدي ويشوِّقهم إليه ويجمع لهم الأحاديث النبوية التي جاءت في شأنه ، فلما استقرَّت في نفوسهم فضيلة المهدي ونسبته ونعته ، ادَّعى المهدوية لنفسه ، قائلاً لهم أنه محمد بن عبد الله وقد ورفع نسبه إلى النبي ﷺ ، وادَّعى أنه المهدي المعصوم ، وروى لأتباعه في ذلك أحاديث كثيرة ، حتى استقرَّ في أذهانهم أنه المهدي حقيقة لا انتحالاً⁵. وعلى أية حال فقد ألَّبت دعوة هذا الفقيه أمماً من بربر السوس على دولة المرابطين حتى أفضت في النهاية إلى تلاشي دولتهم .

5. خاتمة :

¹ ابن القطان : المصدر السابق ، ص 167 ؛ البيهقي : أخبار المهدي ، ص 42 ؛ مؤلَّف مجهول : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، ص 117 ؛ ابن خلكان : المصدر السابق ، ج 5 ، ص 53 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 180 .

² ابن العماد الحنبلي : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرناؤوط و محمود الأناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986 ، ج 6 ، ص 117 .

³ عن بعض الحيل التي أقدم عليها ابن تومرت ليُصدِّقه الناس أنظر بعض المدونات الفقهية والتاريخية مثل : ابن تيمية : المصدر السابق ، مجلد 11 ، ص ص 476 - 478 ؛ ابن الأثير الجَزْري : المصدر السابق ، ج 9 ، ص ص 198 - 199 ؛ ابن أبي زرع الفاسي : المصدر السابق ، ص 182 .

⁴ نفس المصدر السابق ، ص 181 .

⁵ عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ، ص 132 .

شكّل الفقهاء سلطة وازنة في التجربة المرباطية أضحت تضاهي سلطة السياسي بل تفوقها أحياناً ، إذ كانت معظم الأمور تُصرف إليهم ويمثّل الحكامُ لفتّاهم ، بل إن الفضل كلّ راجع إليهم في منشأ الحركة الدعوية المرباطية التي غدت دولة مترامية الأطراف أضحت لها اليد الطولى على كثير من مجالات الغرب الإسلامي ، وبالقدر الذي شكّل فيه هؤلاء الفقهاء دعامة رئيسة للمشروع المرباطي تمكيناً وإفناءً ومنافحةً وجهاداً ، انتبذ فقهاء آخرون هكذا أدوراً فصودرت أفكار بعضهم لمخالفتها التوجه العقدي للدولة وارتضى بعضهم مناوئة الدولة بالتشغيب والثورة وتهيج العامة وتجييش التَّبَع والأنصار حتى كسروا السكينة الأمنية للدولة وضعضعوا استقرارها لتفضي إحدى هذه الثورات إلى إفناء الدولة المرباطية واستخلافها من بعد .

6 . نتائج الدراسة :

✓ حظيت السلطة الدينية ممثلة في الفقهاء ورجال الدين لدى السلطة المرباطية على قدر غير مسبوق من الحظوة والتقدير حتى شاركتها في بعض القرارات ناهيك عن اختصاصاتها الأخرى من فض للخصومات وإصدار للفتيا وغيرها ، حتى غدت سلطة الفقيه موازية للسياسي أو تفوق.

✓ شارك جملة من الفقهاء في بلورة مشروع الدولة في مرحلة الدعوة خاصة الفقيه عبد الله بن ياسين الذي كان له بالغ الدور في منشأ الدعوة المرباطية وتكوين جيلها الأول الذي على أكتافه قامت الدولة .

✓ شكّلت بعض الإيديولوجيات الدينية مسلكاً مناوئاً للتوجه السني المالكى للدولة على شاكلة الإمام الغزالي وهو ما أفضى إلى إجماع فقهاء الموالات على إصدار فتيا بإحراق مؤلف الإحياء لاشتغال الكتاب على بعض أغاليط وتُرّهات التصوف ، واحتوائه على أحاديث ضعيفة وموضوعة وهو ما شكّل مُصادرة للأفكار في نظر آخرين .

✓ اختار بعض فقهاء العدو الأندلسية مسلك التشغيب وإذكاء الثورات وتهيج العامة واستدعى بعضهم بعضاً إسناداً وإمداداً وهو ما قد يُلغى فكرة الأفعال المعزولة التي تقع أحياناً في تجارب الدول والسلط والتي قد يكون مردّها إلى كون هذه الثورات ردود أفعال على تجاوزات السلطة .

✓ ممّن دخل في مقاتلة دولة المرباطين الفقيه محمد بن تومرت الذي أذكى ثورة أفضت في النهاية إلى تقويض ملك المرباطين وإفناء دولتهم بعد أن أقنع مُشايغيه بمهديته وعصمته

وراح يسوق لهم الأحاديث النبوية الدالة على ذلك حتى تحيّل على جُهاال المصامدة باعتراف المدونات المصدريّة .

✓ أثارت شخصية ابن تومرت لغطاً كبيراً في المدونات المصدريّة التي تراوحت بين عدّ مناقبه ومثالبه ففي الوقت الذي اعترفت فيه مدونات بتفقّه في الدين وغزارة علمه ، عدّدت مصادر أخرى تجاوزاته التي وصّت إلى قتل الأبرياء بل والإضرار بالملّة على حدّ تعبير بعضها .

✓ إنّ ثورات الفقهاء في العدوتين أضرت بالدولة المرابطية التي صرفت كثير جُهدٍ لصدّ التحرشات النصرانية من جهة الشمال وهو ما أفضى إلى فتور هذا التصديّ وأتاح الفرصة للنصارى للوثوب على مزيد من المجالات الإسلامية الأندلسية .

7. قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم (رواية حفص عن عاصم)

1.7. المصادر

ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله القضاعي البُلنسي (ت 658 هـ) : الحلة السيرة ، تحقيق : حسين مؤنس ، ط 2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1985 ، ج 2 .

_____ : المعجم في أصحاب القاضي الصدي ، تحقيق : إبراهيم الأبياري ، ط 1 ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، 1989 .

ابن الأثير ، أبو الحسن علي بن محمد الشيباني الجَزْري (ت 630 هـ) : الكامل في التاريخ ، تحقيق : محمد يوسف الدقاق ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1987 ، ج 8 ، ج 9 .

البكري ، أبو عبيد الله بن عبد العزيز (ت 487 هـ) : المُغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب (و الذي هو جزء من الكتاب المُسمّى بلباسالك والممالك) ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، د . ت .

البليّزق : أبو بكر بن علي الصنهاجي (ت 555 هـ) : أخبار المهدي بن تومرت وبداية دولة الموحدين ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 .

_____ : المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب ، تحقيق : عبد الوهاب بن منصور ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1971 .

التادلي ، أبو يعقوب يوسف بن يحيى (ت 628 هـ) : التشوف إلى رجال التصوف ، تحقيق : احمد التوفيق ، ط 2 ، منشورات ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1997 .

ابن تيمية ، أبو العباس تقي الدين احمد بن عبد الحليم (ت 728 هـ) : مجموع فتاوى شيخ الإسلام احمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمان بن محمد بن قاسم وابنه محمد ، إصدارات وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، المدينة المنورة ، 1415 هـ . مج 10 ، مج 11 .

ابن الجوزي ، أبو الفرج عبد الرحمان بن علي بن محمد (ت 597 هـ) : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق : محمد عبد القادر عطا ومصطفى عبد القادر عطا ، ط 1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1992 ، ج 17 .

ابن الخطيب ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الغرناطي (ت 776 هـ) : أعمال الأعلام - فيمن بوع قبل الاحتلال من ملوك الإسلام - ، (القسم الثالث المختص بالمغرب) ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ط 2 ، دار المكشوف ، بيروت ، 1956 .

_____ : أعمال الأعلام (القسم المختص بالأندلس) ، تحقيق : أحمد مختار العبادي و محمد إبراهيم الكتاني ، دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1964 .

ابن خلدون ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد الحضرمي (ت 808 هـ) : تاريخ ابن خلدون - المسعى ديوان المبتدأ والخير في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر - ، تحقيق : خليل شحادة و سهيل زكار ، دار الفكر ، بيروت ، 2000 ، ج 6 .

ابن خلكان ، أبو العباس احمد بن محمد ، البرمكي (ت 681 هـ) : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق : إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، 1994 ، ج 5 ، ج 7 .

الدباغ ، أبو زيد عبد الرحمان بن محمد القيرواني (ت 699 هـ) : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ، تحقيق : محمد ماضور ، الشركة التونسية لفنون الرسم ، تونس ، 1978 ، ج 3 .

الذهبي ، أبو عبد الله محمد بن احمد التركماني الدمشقي (ت 748 هـ) : سير أعلام النبلاء ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط و محمد نعيم العرقسوسي ، ط 1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ج 19 ، ج 20 .

ابن أبي زرع ، أبو الحسن علي بن عبد الله الفاسي (حي سنة 726 هـ): الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة والوراقة ، الرباط ، 1972 .

الزركشي ، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم (حي سنة 894 هـ): تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق : محمد ماضور ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1966 .

السُّبكي ، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي (ت 771 هـ): طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : عبد الفتاح محمد الحلو و محمود محمد الطناحي ، دار إحياء الكتب العربية ، دم ، دت ، ج 6 .

الشاطبي ، أبو اسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي (ت 790 هـ): الاعتصام ، ضبط وتقديم : أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، مكتبة التوحيد ، دم ، دت ، مج 2 .

الطبري ، أبو جعفر محمد بن جرير (ت 310 هـ): جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، تحقيق : عبد الله بن عبد المحسن التركي ، ط 1 ، دار هجر للطباعة والنشر ، القاهرة ، 2001 ، ج 6 .

ابن عذاري ، أبو العباس احمد بن محمد المراكشي (حي سنة 712 هـ):

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تحقيق : ليفي بروفنسال ، ج . س كولان ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 1 .

البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب (قسم المرابطين) ، تحقيق ، إحسان عباس ، ط 3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1983 ، ج 4 .

ابن العماد ، أبو الفلاح عبد الحي بن احمد الصالحي (ت 1089 هـ): شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق : عبد القادر الأرنؤوط و محمود الأناؤوط ، ط 1 ، دار ابن كثير ، بيروت ، 1986 ، ج 6 .

ابن القطان ، أبو محمد حسن بن علي الكتامي (حي سنة 650 هـ): نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان ، تحقيق : محمود علي مكي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1990 .

ابن قيم الجوزية ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب (ت 751 هـ): المنار المنيف في الصحيح والضعيف ، تحقيق : يحيى بن عبد الله الثمالي ، ط 1 ، دار علم الفوائد ، مكة المكرمة ، 1428 هـ .

المقرى ، أبو العباس احمد بن محمد القرشى التلمساني (ت 1041 هـ) : نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق : إحسان عباس ، دارصادر ، بيروت ، 1988 ، ج 3 .

المقرى ، تقي الدين احمد بن علي (ت 845 هـ) : كتاب المقفى الكبير ، تحقيق : محمد اليعلاوي ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامى ، بيروت ، 1991 ، ج 3 .

ابن منظور ، أبو الفضل محمد بن مكرم الإفريقى (ت 711 هـ) : لسان العرب ، تحقيق : عبد الله عبد الكبير وآخرون ، دار المعارف ، القاهرة ، د.ت .

مؤلف مجهول (حي سنة 587 هـ) : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تحقيق : سعد زغلول عبد الحميد ، ط 2 ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، 1986 .

مؤلف مجهول (حي سنة 712 هـ) : مفاخر البربر ، تحقيق : عبد القادر بوباية ، ط 1 ، دار أبي رقرق ، الرباط ، 2005 .

مؤلف مجهول (حي سنة 783 هـ) : الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية ، تحقيق : سهيل زكارو عبد القادر زمامة ، ط 1 ، دار الرشاد الحديثة ، الدر البيضاء ، 1979 .

النويرى ، أبو العباس احمد بن عبد الوهاب التميمي القوصي (ت 733 هـ) : نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق : علي بوملحم ، ط 1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ج 6 ، ج 24 .

عبد الواحد المراكشي ، أبو محمد بن علي التميمي (ت 647 هـ) : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تحقيق : عمران المنصور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 .

2.7 . المراجع

أشباح ، يوسف : تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين ، ترجمة : محمد عبد الله عنان ، ط 2 ، مؤسسة الخانجي ، القاهرة ، 1996 ، ج 1 .

عنان ، محمد عبد الله : دولة الإسلام في الأندلس - عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس - ، ط 2 ، مكتبة الخانجي ، القاهرة ، 1990 .